حديقة المقتطف

أغنية القطع

من رمزيات سينوبل

الرجاء بالله

للشاعر الفرنسي الفرد دي موسه

قينوس والنمر

للفونتين الرمزي

« فمرّمر »

من تصوير ليب تادرس

أغنية القطيع

من رمزيات سيتويل

من خلال حظائرنا التي شيدها الجبروت ، رحنا نرقب أحزان هذا العالم في صمت ورباطة جأش

لقد عرفنا الدم المهراق، ورأينا شؤبوبه وكيف ينبثق في غير ما تهدة أو حشرجة

ورأينا ذرارينا وكيف تسلب ويرجى سمنها للحجر المنصلت في يد الثاجر

في عيوننا الصافية ترقد كل خفايا الأبدية وتتوارى أسرار الفراغ أو العدم

وإذ يغرق في استماعنا ثغاء الزعيم نخطر في مرح ورشاقة مجاوبين ثغاءه . فان أجمل رأيتنا في ثوره كموجة متدافعة من الجنون حتى يقعد به الثار وإذ ذاك تتطلع إلى زعيم جديد نسير تحت إمرته

صاح خروف متشكيء في آخر القطيع « ولماذا تروعنا هذه المجزرة المتجددة فتنكس على أعقابنا ! ؟ »

ولكن أسراب القطيع راحت تغو في غضب وكأنها تقول « ألا تذكر كيف ذهبنا بأقدام خالية من النذر ورجعنا بأدمغة فارغة ؟ ! » إن نبل الصنيع يقتضينا الفرار ما استطعنا اليه سبيلاً »

« إننا نحمي بذلك خرافاً لن تجود بمثلها البطون »

فاذا ما أباح قطيع دمه فان الميز ستذكر لنا هذا القول المأثور ؟ »

. . . . . لحظة ثم هوى الراعي علينا بعصاه صارخاً مؤنباً « الى الوراء الى حظائركم أيها الحمق »

[نقلها على محمود طه]

الرجاء بالله

للشاعر الفرنسي الفرد دي موسه

يعرف هذا الشاعر بأنه شاعر الحب والعذاب، لأن حياته حياة صفحة مشوشة طافحة آلاماً وغراماً، وكيف لا يشتهر بهذا النعت صاحب « الليالي » التي ملأ الاسى آلحانها . والليالي هي التي خلقت من « موسه » عبقرية يحس الالم ويكابده، ويناضله ويقبله والالم عنده خير معلم للناس ولعل « موسه » هو أبين شاعر خرجته المدرسة الابداعية في فرنسا يطغى عليه الاحساس العنيف والتعبير المؤثر . ولكن « لموسه » نواحي اخرى انطلق فيها من ذاته الضيقة وآلامه النفسي، الى عالم الذات الواسعة التي لا تحيط بها حدود، والى آلام كل نفس تشعر وتفكر في هذا الوجود، يعالج مسألة الله والايمان والجحود . وجدير «بموسه» ان يتقلب قلبه على فكره وعاطفته على منطقه فينظر الى « ما وراء الطبيعة » بقلبه، ويفهم الله بقلبه، ومقطوعته هذه هي صلاة فيها شك وايمان، ونورة واستسلام . يرفعها شاعرشاك متألم الى الله

« خ . ه »

« قرأت كثيراً . . .وفتشت كثيراً ... انما السمع
والشعر منحوتان من معدن الهي » « موسه »

ما ظل قلبي الضعيف مغمماً بنشوة الصبا
لا ينصرف عن اوهامه
فلا أستسلم الى الحكمة القديمة، التي جعلت من «ابيقور» التنوع نصف اله !
أريد ان أحيا وان احب،
وان اسائل غيري من الناس،
وان أتحرى عن قليل من الفرح دون ان أعبأ به
وان اضع ما يضنون، واكون كما تكون
وان انظر الى السماء بعين هادئة آمنة

***

اراني لا أقدر انهذه اللانهاية — على الرغم مني — تعذبني !

ما سرَّحت روحي فيها الاَّ عراها ما عراها من خشية ومن رجاء
ومهما قيل عنها ، فان عقلي يضطرب اذ يراها ولا يفهمها
فما هو هذا الوجود وماذا جئنا نصنع فيه ، اذا كان لا يضر ارواحنا سلام الاَّ اذا حجبنا عنا السماء !
ولكنا اذا مررنا في سبلنا شاخصين الى الارض هائمين كالقطعان ، جاحدين كل شيء ، فهل تكون السعادة رفيقة لنا ؟
لا ! وهل معنى ذلك الاَّ ان ينسلخ الانسان من انسانيته ويعمل على اذلال نفسه؟
انها الصدف ألقت بي في الوجود
وما انا الاَّ ابن امرأة — سواء كنت شقيًّا او سعيداً
وليس باستطاعتي ان افر من البشرية

***

ما أصنع اذاً ؟
والمذهب الوثني يقول لي :
تلذذ في حياتك ومت ، فالآلهة لا تحلم الاَّ بالرقاد
والمذهب المسيحي يقول لي :
تأمل ! فالسماء ترقب دائماً ، وأنت لا تقدر ان تموت
وقفت حائراً مترددا بين هذين المذهبين
وشئت ان اخترق بنفسي طريقاً أبهى وأقوم
فاجابني صوت عميق « لا تفتش عبثاً ! »
فليس امام السماء الاَّ الكفر والايمان
فكَّرت ، فوجدت النفوس الحائرة تتقاذف بين المذهبين
ووجدت المتجردين جاحدين ، لو تسرب اليهم الشك يوماً واحداً لصرف عن اعينهم الكرى
لأرضَ اذاً بتدبير القدر !
وما دامت المادة تبعث في قلبي رغبة مقدسة بالرهبة
فها انا أنحني خاشعاً ، اريد أن اؤمن وان يكون لي رجاء

ماذا أحون غداً وماذا يراد مني ؟

***

ها انا بين يدي الله لاتبعث الآلام المجتمعة ما يبثهُ ذكره من رهبة وخشية
ها انا وحيداً شريداً ، شقيًّا ضعيفاً
ترقبني عين ناظر لايغادرني ولا يغفل عني

***

ان تحت قدمي هوة عميقة ، اذا هويتُ فيها ، فان التكفير عن ساعة واحدة يستوجب العذاب السرمدي
ان حاكمي هو جلاد يخدع ضحيته ،
وكل الاشياء — عندي — نصبت لتكون اشراكاً ، ولا يتبدَّل منها إلاَّ اسماؤها
فطلب هو خطيئة والسعادة جريمة
وخليقة سبعة أيام ما وجدت الاَّ للفتنة والاغواء .
وتفسي اصبحت لاتحمل شيئاً من الطبيعة الانسانية ،
فلا فضيلة عندي ولا ضمير .
أرتقب الثواب وأجتنب الأتعاب
دليلي الخوف وحده وغايتي الموت

***

يقال لي : ان هنالك النعيم السرمدي يرتقب أحبابهُ المصطفين لهُ .
فاين هؤلاء الذين منحهم القدر هذا النعيم ؟
أإذا كان وعدكم مكذوباً فهل تردون عليَّ حياتي ؟
وإذا كان عهدكم صادقاً فهل تفتحون لي أبواب السماء ؟
أواه ! ان هذا البلد الطيب الذي أنبأ به أنبياؤكم وأولياؤكم لن يكون — إذا صحَّ وجوده — الاَّ قفراً يباباً ...
لانكم تريدون لهذا البلد ابراراً اطهاراً ، لايكادون يلفون النعيم الاَّ بعد العذاب الاليم
اني إنسان ! لا أنحط عن إنسانيتي ، ولا أتوغل في تجاربي .
أين المفر ؟

اذا لم تقبل شيء على وعود الكهان فهل أقبل على المتجردين أسألهم ؟

***

واذا كان قلبي السائم من حلم يتابهُ ، يفزع إلى الحقيقة ليروي غلته ، فاني لأجد في اللذات الباطلة التي ألوذ بها ، أجد مرارة مضنية تكاد تذيقني حتفي.

وفي الايام التي يكثر فيها العقل ، ويقتني كل شيء لينقذ نفسه من الشك .

وفي الايام التي تملك يدي فيها كل شيء في الحياة

أراني لا أزال أتمنى . . .

أعطني القدرة والعافية والحب ذاته

وقل لعشتروت الشقراء تبرز إلى لقائي من الجزائر الزرقاء

وهب اني اصبحت ادرك اسرار الأرض وعناصر الخصب فيها .

وانصرف بالمادة الحية كما أشاء ،

وأخلق لنفسي جمالاً ليس لهُ مثيل .

وجلست يحف بي «هوراس ولوقريطيوس وايفور» وهم يعنونني بالرجل السعيد.

ومن حولي عشاق الطبيعة القديمة يرتلون أغاني الآلهة .

سأقول لهؤلاء جميعاً :

مهما أوتينا القدرة ، فاني اراني أتألم .

اتيتم متأخرين والوجود على هَرَم .

ان رجاء واسعاً غمر الارض ،

وباعثاً عميقاً يجذب عيوننا — على الرغم منا — الى السماء

***

ماذا يبقى لي اذاً ؟

عقلي الثائر يجرب حتماً أن يؤمن ، وقلبي أن يشك .

المسيحي يغدرني ، ومايقوله الجاحد — على الرغم من حواسي — لا أستطيع أن أتقبله.

يراني رجال الدين زنديقاً ويعدني المتجردون مغفلاً .

قال أي مطاف أخيح؟ واي صوت أنيس يقري هذا الفؤاد الذي جرحه الشك

قيل : هنالك فلسفة تشرح لنا كل شيء ، وتقودنا الى سبل الحياة

غير معتمدة على وحي منزل ، هي بين التجرد والايمان .

اني أُسلم بذلك !

فأين اصحاب المذاهب الذين يدركون الحقيقة بغير إيمان ؟

وأين هؤلاء السفسطائيون المخدوعون الذين لا يؤمنون الاَّ بانفسهم ؟

ما هي مذاهبهم وما هي تعاليمهم ؟

أوجد لي أحدهم مذهباً يضم عنصرين متضادين خالدين . تدور بينهما المركة سجالاً[١]

وأوجد آخر في اقصى السماء — الهـاً لا يضر ولا ينفع — لا يحتاج الى معابد ومساجد .

رأيت افلاطون [٢] يحلم وارسطو [٣] يفكر ،

سمعتُ وهللتُ وواصلت مسيري .

وجدت الهـاً جائراً يعيش في ظلال الجائرين .

واليوم يحدثونا عن الـه « جمهوري »

فيثاغوراس [٤] وليبنتز [٥] يُحولان وجودي

وديكارت [٦] يقذف بي وسط الزوابع .

وموتاني [٧] يحث فلا يصل الى معرفة نفسه

وپاسكال ينهزم مرتمساً من رؤاه .

وبيرّو [٨] يتركني اعمى ، وزينون [٩] يغادرني فاقد الحس .

وفولتير همه ان يحطم كل ما يجده منتصباً

وسپينوزا [١٠] الذي أعيتهُ معالجة المحال في بحثه عن الله اعتقد انهُ وجد الله في كل مكان

---

(١) يشير الى المذهب القائل بوجود الهين يسيطران على الوجود . الله النور والله الظلمة (هرمز واهرمان) (٢) يشير الى المثل الاعلى عند افلاطون (٣) يشير الى عمل ارسطو بالمذهب الواقعي (٤) يشير الى انتحال النفس من الجسد (٥) يشير الى مذهب الجوهر الفرد الذي هو اصل الاشياء (٦) يشير الى مذهب الزوابع القائمة بمذهب الجاذبية (٧) يشير الى كلمة « ماذا اعرف؟ » (٨) فيلسوف يرى ان جعل من الشك مذهباً (٩) فيلسوف المدرسة الرواقية (١٠) فيلسوف هولاندي وضع مذهب القول ان الله هو في جميع الكائنات

ولوك [١] السفسطائي يقول . ان الانسان آلة.
وفي النهاية رأينا فيلسوفاً [٢] يهوي من العذاب، مهدماً لما بقي من العمارة الفلسفية :
يعلن ان السماء خاوية ، وان ليس — هنالك — الا العدم

***

هذه هي انقاض العلم الانساني !
وهذه هي الكلمة الاخيرة التي بقيت لنا بعد عمل خمسين قرناً.
آه ايها المساكين الذين شرحتم كل شيء بأساليكم المختلفة !
ان العروج الى السماء يجعلكم مفتقرين الى اجنحة . . .
انتم تملكون الرغبة ، ولكن ينقصكم الايمان
انني ارثي لكم لأن كبركم هو ابن الروح المكلومة
انتم تحسون بالمرارة التي يطفح بها قلبي وتدركون الفكرة الاليمة التي تترك الانسان يرتعش امام اللانهاية .
والآن لنصلّ جميعاً . . .
انني منصرف الى مضاجعكم التي تضم رفاتكم وترابكم ، أضرع حولها وأصلي لكم
فتعالوا ايها المعلمون الوثنيون ويا رجال العلم ، ونصارى العهد الغابر ومفكري اليوم وآمنوا معي بأن الصلاة هي صراخ الرجاء
لنرفعها الى الله لكي يجيبنا عنها .
انهُ عادل صالح يغفر ذنوبكم.
قد تألمتم كثيراً ، وشقيتم كثيراً ، فكل شيء يمحى !
والسماء اذا كانت خاوية فلن تهين بدعاءنا احداً
واذا كان ثمة من يسمع ومن يرى فليأخذنا برحمته
ولينشر علينا بساط مغفرته .

[نقلها خليل هنداوي]

(١) فيلسوف انجليزي ذهب مذهباً بعيداً في المادة (٢) يشير الى الفيلسوف الالماني كانت